



الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله:

"الخوارج" من الكلمات التي كثر تردادها في الآونة الأخيرة، وإطلاقها على بعض الجماعات والتنظيمات بحق وباطل، فكان لا بد من وقفة تتبئن بها صفات الخوارج كما وردت في السنة النبوية حتى ننزل كل قوم منزلتهم اللائقة بهم حسب قربهم من هذه الأوصاف وبعدهم عنها.

ولم يأت في السنة النبوية تحذير من فرقه بعينها من فرق هذه الأمة إلا الخوارج، فقد ورد فيها أكثر من عشرين حديثاً بسند صحيح أو حسن، وما ذلك إلا لضررهم الجسيم على الأمة، والتباينُ أمرهم على الناس واغترارهم بهم؛ إذ ظاهرهم الصلاح والتقوى، وأن مذهبهم ليس قاصراً على الآراء والأفكار، بل يتعدى ذلك إلى سفك الدماء.

فمن صفاتهم الثابتة في السنة:

1- **صغر السن:** فهم في غالبيهم شباب صغار، يقل بينهم وجود الشيوخ والكبار من ذوي الخبرة والتجارب، قال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم: ((حُدَّثَأُ الْأَسْنَانِ)), قال الحافظ ابن حجر في الفتح (12/287): "وَالْحَدَّثُ: هُوَ الصَّغِيرُ السِّنِّ".

2- **الطيش والسفه:** فعامة الخوارج ومن يتبعن فكرهم من الشباب الذين تغلب عليهم الخفة والاستعجال والحماس، وقصر النظر والإدراك، مع ضيق الأفق وعدم البصيرة، كما جاء في الحديث المتفق عليه: ((يَأْتِي فِي أَخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ، حُدَّثُأُ الْأَسْنَانِ، سُفَهُأُ الْأَحْلَامِ)), والأحلام: الألياب والعقول، والسفه: الخفة والطيش.

قال النووي: "يُسْتَفَادُ مِنْهُ أَنَّ التَّبَّتَ وَقُوَّةَ الْبَصِيرَةِ تَكُونُ عِنْدَ كَمَالِ السِّنِّ وَكَثْرَةِ التَّجَارِبِ وَقُوَّةِ الْعَقْلِ"، نقله عنه الحافظ في الفتح.

3- **الغرور والتعالي:** فالخوارج يُعرفون بالكبر والتعالي على عباد الله، والإعجاب بأنفسهم وأعمالهم، ولذلك يُكثرون من

التفاخر بما قدموه وما فعلوه!!

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ فِيكُمْ قَوْمًا يَعْبُدُونَ وَيَدْأُوبُونَ، حَتَّىٰ يُعْجَبَ بِهِمُ النَّاسُ، وَتُعْجِبُهُمْ نُفُوسُهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرْوِقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ)) رواه أَحْمَدَ بِسْنَدِ صَحِيحٍ.

ويدفعهم غرورهم لادعاء العلم، والتطاول على العلماء، ومواجهة الأحداث الجسام، بلا تجربة ولا رؤية، ولا رجوع لأهل الفقه والرأي.

4- الاجتهاد في العبادة: فهم أهل عبادة من صلاة وصيام وقراءة وذكر وبذل وتضحية، وهذا مما يدعوه للافترار بهم، ولذا جاء البيان النبوى واضحًا في التنبيه على هذه الصفة فيهم: ((لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ يُشَيِّءُ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ يُشَيِّءُ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ يُشَيِّءُ)) رواه مسلم.

وقال: ((يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ)) متفق عليه.

وإذا كان الصحابة رضي الله عنهم يحتقرن صلاتهم مع صلاتهم، فكيف بغير الصحابة؟!

ولما لقيهم عبد الله بن عباس قال: "فَدَخَلْتُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ أَرْ أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْهُمْ، أَيْدِيهِمْ كَأَنَّهَا ثَفْنُ الْأَبْلِ [أى غليظة]، وَوُجُوهُهُمْ مُعَلَّمَةٌ مِنْ آثارِ السُّجُودِ" رواه عبد الرزاق في المصنف.

5- سوء الفهم للقرآن: فهم يكثرون من قراءة القرآن والاستدلال به، لكن دون فقه وعلم، بل يضعون آياته في غير موضعها، ولها جاء وصفهم في الأحاديث: ((يَقْرَئُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ)، ((يَتَلَوُنَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ)، ((يَقْرَئُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَّهُمْ)).

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: "لَيْسَ حَظَّهُمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا مُرُورُهُ عَلَى الْلِسَانِ، فَلَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَّهُمْ لِيَصِلُ قُلُوبَهُمْ، وَلَيْسَ ذَلِكَ هُوَ الْمَطُلُوبُ، بَلْ الْمَطُلُوبُ : تَعْلُقُهُ، وَتَدْبِرُهُ بِيُقْوُعَهِ فِي الْقَلْبِ".

وقال شيخ الإسلام: "وَكَانَتِ الْبِدَعَ الْأُولَى مِثْلُ بِدْعَةِ الْخَوَارِجِ إِنَّمَا هِيَ مِنْ سُوءِ فَهْمِهِمْ لِلْقُرْآنِ، لَمْ يَقْصِدُوا مُعَارَضَتَهُ، لَكِنْ فَهِمُوا مِنْهُ مَا لَمْ يَدْلِلُ عَلَيْهِ" مجموع الفتاوى.

ولذلك قال فيهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهم: "أَنْطَلَقُوا إِلَى آيَاتٍ نَزَّلْتُ فِي الْكُفَّارِ، فَجَعَلُوهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ" نكره البخاري تعليقاً.

قال ابن حجر: "كَانَ يُقَالُ لَهُمُ الْقِرَاءَ لِشِدَّةِ اجْتِهَادِهِمْ فِي التِّلَاقَةِ وَالْعِبَادَةِ إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَأَوَّلُونَ الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ الْمُرَادِ مِنْهُ، وَيَسْتَبِدُونَ بِرَأِيِّهِمْ، وَيَتَنَطَّعُونَ فِي الزُّهْدِ وَالْخُشُوعِ وَغَيْرِ ذَلِكِ" فتح الباري لابن حجر.

6- الكلام الحسن المنمق: فكلامهم حسن جميل، لا ينazu أحده في حلوته وبلايته!!، فهم أصحاب منطق وجدل، يدعون تحكيم الشريعة وأن يكون الحكم لله ومحاربة أهل الردة والكافر، ولكن فعالهم على خلاف ذلك!!.

كما قال عنهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يُحْسِنُونَ الْقِيلَ، وَيُسِيِّلُونَ الْفِعْلَ)، ((يَتَكَلَّمُونَ بِكَلْمَةِ الْحَقِّ)، ((يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ)).

قال السندي في حاشيته على سنن النسائي: "أَيْ يَتَكَلَّمُونَ بِعِظُضِ الْأَقْوَالِ الَّتِي هِيَ مِنْ خِيَارِ أَقْوَالِ النَّاسِ فِي الظَّاهِرِ، مِثْلُ: إِنَّ الْحَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، وَنَظَائِرُهُ، كَدَعَائِهِمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ".

7- التكفير واستباحة الدماء: وهذه هي الصفة الفارقة لهم عن غيرهم؛ التكفير بغير حق واستباحة دماء المخالفين لهم، كما قال عنهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يَقْتُلُونَ أَهْلَ إِسْلَامٍ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأُؤُلَانِ)) متفق عليه.

وهذا "مِنْ أَعْظَمِ مَا نَذَمَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَوَارِجَ" مجموع الفتاوى.

وبسبب قتلهم لأهل الإسلام: تكفيرهم لهم، قال القرطبي في المفہم: "وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا حَكَمُوا بِكُفْرٍ مَنْ خَرَجُوا عَلَيْهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اسْتَبَاحُوا دِمَاءَهُمْ".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فَإِنَّهُمْ يَسْتَحْلُونَ دِمَاءَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّهُمْ مُرْتَدُونَ أَكْثَرَ مِمَّا يَسْتَحْلُونَ مِنْ دِمَاءِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ لَيْسُوا مُرْتَدِينَ" مجموع الفتاوى.

وقال: "وَيُكَفِّرُونَ مِنْ خَالَفَهُمْ فِي بِدْعَتِهِمْ، وَيَسْتَحْلُونَ دَمَهُ وَمَالَهُ، وَهَذِهِ حَالٌ أَهْلُ الْبِدَعِ يَبْتَدِعُونَ بِدُعَةٍ وَيُكَفِّرُونَ مِنْ خَالَفَهُمْ فِيهَا" مجموع الفتاوى.

والتكفير عند الخوارج له صور كثيرة: كتكفير مرتكب الكبيرة، أو التكfir بما ليس بذنب أصلًا، أو التكfir بالظن والشبهات والأمور المحتملة، أو بالأمور التي يسوغ فيها الخلاف والاجتهاد، أو دون التحقق من توفر الشروط وانتفاء الموانع، ولا يعذرون بجهل ولا تأويل، ويكتفرون بلازم الأقوال وما لاتها، ويستحلون دماء من يكتفرون بهم دون قضاء ولا محاكمة ولا استتابة ولهذا قال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم: ((يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ))، فشبه مروقهم من الدين بالسَّهْمِ الَّذِي يُصِيبُ الصَّيْدَ فَيَدْخُلُ فِيهِ وَيَخْرُجُ مِنْهُ مِنْ شَدَّةِ سُرْعَةِ خُرُوجِهِ لِقُوَّةِ الرَّامِيِّ، لَا يَعْلُقُ مِنْ جَسَدِ الصَّيْدِ بِشَيْءٍ".
عمدة القاري

وفي صحيح مسلم: ((هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ))، وعند أحمد بسنده جيد: ((طُوبَى لِمَنْ قَاتَلُهُمْ وَقَاتَلُوهُ))، قال ابن حجر : " وَفِيهِ أَنَّ الْخَوَارِجَ شَرُّ الْفِرَقِ الْمُبْتَدِعَةِ مِنَ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ" فتح الباري.

8- اتخاذهم شعاراً يتميزون به عن سائر الناس: ولهما في كل عصر وزمان شعار يتميزون به ، وقد يكون هذا الشعار في الراية ، أو لون اللباس ، أو هيئة ، أو غير ذلك .

وقد كان شعارهم في زمن علي بن أبي طالب حلق شعر رؤوسهم ، كما أخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: ((سِيمَاهُمْ التَّحْلِيقُ)). رواه البخاري .

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (497/28): " وَهَذِهِ السِّيَمَا أَوْلَاهُمْ كَمَا كَانَ نُو التُّدِيَّةُ ؛ لَا أَنَّ هَذَا وَصْفٌ لَازِمٌ لَهُمْ ".
وقال القرطبي : " (سِيمَاهُمْ التَّحْلِيقُ)" أي: جعلوا ذلك علاماً لهم على رفضهم زينة الدنيا ، وشعاراً ليعرفوا به " المفهوم

والحمد لله رب العالمين

هيئة الشام الإسلامية.

المصادر: